

ملخص خطبة الجمعة

٢٥/١١/٢٠٢٢م

في مسجد مبارك، إسلام آباد بريطانيا

يتابع حضرته الحديث عن سيرة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ويذكر من خصاله الحميدة:

كان شغوفا بخدمة الخلق وإطعام الفقراء.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ أَطْعَمَ الْيَوْمَ مَسْكِينًا فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا أَنَا بِسَائِلٍ يَسْأَلُ فَوَجَدْتُ كِسْرَةَ خُبْزٍ فِي يَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَأَخَذْتُهَا مِنْهُ فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ.

يقول المصلح الموعود رضي الله عنه: ماذا استفاد أبو بكر رضي الله عنه من الحكم؟ لم يستفد شيئا من الخلافة أو الملك الذي تولاه. إنما الميزة التي كان يتميز بها هي الخدمة التي قام بها بجدارة.

يقول المسيح الموعود عليه السلام: إن للشريعة جزئين؛ هما حق الله وحق العباد، انظروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم كيف قضى حياته في الخدمات، ثم انظروا إلى علي رضي الله عنه كان قد رُقِع قميصه لدرجة لم يبق منه مكان، وكان أبو بكر رضي الله عنه من دأبه أن يطعم عجوزا حلوى كل يوم بانتظام لدرجة قالت تلك العجوز يوم توفي أبو بكر بأنه قد مات اليوم. فسألها الجيران هل تلقيت إلهاما أو وحيا، فقال لا بل لم يأت اليوم بحلوى فعرفت أنه مات، أي كان من المستحيل أن لا يحضر الحلوى في حياته.

ستر عيوب الآخرين: كيف كان مستواه لستر الناس، فهناك رواية بهذا الخصوص أن أبا بكر رضي الله عنه كان يقول: لو أخذت سارقا لأحببت أن يستره الله. (الطبقات الكبرى، لابن سعد)

إخلاصه وطاعته: كان بطبيعة الحال ضمن المبايعين المخلصين والمضحين بحياتهم بمناسبة صلح الحديبية. وعندما كُتبت معاهدة الصلح ضرب أبو بكر مثلا أعلى لقوة الإيمان والصمود والفراسة وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم ووجه لدرجة لم ينسَ عمر رضي الله عنه مدى حياته.

شجاعة أبي بكر في مكة أيضا كلما رأى رضي الله عنه أي خطر أو ما من شأنه أن يسبب إيذاء للنبي صلى الله عليه وسلم تصدى له وقام بحمايته صلى الله عليه وسلم ونصرته بكل ما في وسعه.

سأل علي رضي الله عنه الناس ذات مرة: يا أيها الناس من أشجع الناس؟ فقالوا أنت يا أمير المؤمنين، فقال أما إني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكن هو أبو بكر، إنا جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا فقلنا من

يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهرا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه، فهذا أشجع الناس.

كان ﷺ مع النبي ﷺ في غزوة الخندق وكان ممن نقلوا التراب في الثياب أثناء حفر الخندق. وقد اشترك ﷺ في غزوة الطائف أيضا مع ابنه عبد الله الذي كان شابا يومذاك وقُتل في هذه الغزوة. وعندما خرج رسول الله ﷺ لغزوة تبوك مع جيش قوامه ثلاثون ألف جندي، عين أكثر من قائد وأعطاهم رايات. وقد أُعطي أبو بكر ﷺ أكبر راية بهذه المناسبة.

يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ بهذا الشأن: ذات مرة حنق الكافرون النبي ﷺ برداء حنقا شديداً، ولما علم أبو بكر ﷺ بذلك أتى مسرعاً ودفع عنه الكافرين وقال لهم: ألا تخافون الله تعالى؟ أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ولم يطلب منكم مالا ولا عقارا، فلماذا تكادون تقتلونه؟ ذات مرة سأل بعض الناس الصحابة: من كان أشجعكم في عهد الرسول ﷺ. فقال الصحابة: كان أشجعنا، أقربنا من الرسول ﷺ موقعاً في القتال. ثم أخبر الصحابة أن أبا بكر كان أكثرنا وقوفاً بجانب النبي ﷺ، لذلك فهو أشجعنا.

ثم يقول ﷺ: يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ في بيان تفسير الآية الثانية من سورة الإسراء: جدير بالانتباه أن قوله تعالى ﴿أَسْرَى بَعْدَهُ﴾ يشير إلى أن عبد الله هذا لم يخرج في هذه الرحلة الليلية بخياره، بل الله نفسه قد سيره. وهذا بالضبط ما حدث في الهجرة أيضاً حين خرج النبي ﷺ من مكة تحت ستار الليل، ولم يغادرها برغبته، وإنما اضطر للخروج منها حين حاصر الكفار بيته لاغتياله. إذن فلم تكن الهجرة برغبته ﷺ بل إن المشيئة الإلهية هي التي دفعته للهجرة.

ثم كما أن جبريل صاحب النبي ﷺ في إسرائه إلى القدس، كذلك رافق أبو بكر الرسول ﷺ أثناء الهجرة، وكان متفانياً في طاعته كما يطيع جبريل أوامر الله تعالى. وكلمة جبريل تعني "بطل الله"، وكذلك كان أبو بكر عبداً مختاراً لله تعالى، وبطلاً مغوراً في سبيل دينه.

كان يُظن بوجه عام أنه كان ذو طبع ضعيف وقلب رقيق ويجب الصلح في كل الأحوال. فلما مات رسول الله ﷺ حدث الخلاف بين المسلمين على من سيتولى الخلافة. فقام سيدنا أبو بكر رضي الله تعالى عنه، وبدأ الخطاب، فبين جميع الأدلة حتى اقتنع الأنصار وسلّموا بمبدأ المهاجرين في الخلافة.

إن سيدنا أبا بكر اللطيف ورقيق القلب نفسه قد أتى عليه زمن جاءه فيه سيدنا عمر ﷺ وطلب منه أن يعفي الزكاة عن هؤلاء الجهلة لمدة من الزمن. لكن أبا بكر نظر إلى عمر بمنتهى الغضب وقال له

يا عمر، هل تطلب مني أمراً لم يعمله الله ورسوله. والله إذا كانوا يؤدون قطعة حبل في حياة النبي ﷺ زكاةً فسوف أخذها منهم. ثم قال يا عمر إذا كنتم تخافون فانصرفوا عني، سوف أقاتلهم وحدي، حتى يكفوا عن فتنهم، فاندلع القتال وانتصر أبو بكر ﷺ وتمكن من إخضاع العرب كلهم له قبل وفاته.

تضحياته المالية:

أما عن التضحية المالية التي قام بها سيدنا أبو بكر ﷺ فقد كتب أحد الكتاب: لما آمن سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ كان بحوزته مبلغ كبير من المال يبلغ أربعين ألف درهم، وهذا بالطبع إضافةً إلى أموال التجارة والممتلكات الأخرى. فأنفق في مكة آلاف الدراهم منها لمساعدة عامة المسلمين عموماً وكفالة فقراء المسلمين خاصة، وحين هاجر كانت معه خمسة أو ستة آلاف من الدراهم.

وفي رواية أنه ظل يوفر هذا المال لحاجات النبي ﷺ وأخذ معه عند الهجرة إلى المدينة، وسدَّ به نفقات سفر الهجرة، كما دفع به نفقات سفر هجرة بعض أهل بيت النبي ﷺ، كما اشترى به قطعة أرض للمسلمين في المدينة.

وعن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه عاصب رأسه بخرقة، فقعده على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنه ليس من الناس أحد آمن علي في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة.

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما نفعتني مال قط ما نفعتني مال أبي بكر. فبكى أبو بكر وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله.

فقد سبق الجميع في التضحية المالية، فذات مرة أمر الناس بالإنفاق في سبيل الله، فجاء بكل ما في بيته، ولما سأله النبي ﷺ: ماذا تركت في البيت، قال: الله ورسوله.

هكذا نجد أنه لا ينفع في سبيل الفوز بالكمال الحقيقي والخير والبركة والمتعة الروحانية إلا المال الذي يُنْفَقُ في سبيل الله تعالى.